

الفصل السادس عشر

عرش يهتز ...

التقت قوات الغزو البرية والبحرية على جانبي مضيق كليبولي، ثم لم يلبث الجُند أن وثبوا من شاطئ إلى شاطئ، فإذا هم تحت أسوار القسطنطينية، لم يلقوا كيِّداً، ولم يعترض سبيلهم أحد، فحطُّوا رحالهم في ذلك الوادي الأفَّيح، وأخذوا يقيمون المضارب وينصبون الخيام، ويُعدُّون لإقامة طويلة المدى، قد أقسموا لا يعودون إلى أهلهم وديارهم إلا إذا فتحوها ووطئوا بساط قيصر، وأذَّنوا في «أيا صوفيا» وأقاموا الصلاة ... ونُصِبَت للأمير خيمةٌ من ديباج على شرف من الأرض، وبُسِطَت فيها البُسْط، وانتشرت الطنَّافس، ثم أقيمت مضارب الجند، حيث رسم الأمير ...

وقال مسلمة يخاطب جنده:

أما بعدَ حمِدِ الله والصلاة على نبيه، فإنَّا لم نقطع هذه البرِّيَّة، ونتجشَّم هولَ ذلك البحر من أجل غارة نُغِيرها، ثم نثوب قد احتملنا أَسارى وسبايا، وحصَّلنا غنائم وتركنا على أديمها صَرَعى وجَرَخى من الروم، كما كُنَّا وكانوا في كلِّ صائفة وشاتية؛ فقد كان ذلك كله تمهيداً لهذه الغارة العُظْمَى؛ لتحطيم عرش قيصر ودكِّ معاقله، ونشر كلمة الله في بلاده، فلا معاد إلى دياركم وأهليكم إلى أن يُفْتَحَ لكم، وإلا فاعتقدوها هجرةً إلى دار أبي أيوب لا تبرحونها حتى يبعث الله الموتى.^١

^١ يعني أنهم إما أن يفتحوها أو يموتوا فتجاوز قبورهم قبر أبي أيوب.